

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

مخبر التراث الأدبي الجزائري

الرسمي والهامشي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الملتقى الدولي الأول:

المناهج في الخطاب اللساني والنقدي بين إشكاليات التأصيل وجدليات التوظيف
قراءة في الخلفيات والأنساق والمآلات

يوما: 26 و 27 نوفمبر 2023

المحور الأول: اللسانيات والنقد: قضاياها الإستمولوجية والمنهجية.

عنوان المداخلة:

الأسلوبية والتداولية: تناقض أم تكامل؟
Stylistics and Pragmatics: Dissonance or Integration?

إعداد الأستاذ الدكتور/ محمد بن يحي

المؤسسة: جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي (الجزائر)

الهاتف الشخصي: 06.62.10.94.41

البريد الإلكتروني: mohammed-benyahia@univ-eloued.dz

ملخص: تُعدّ الأسلوبية والتداولية من أهمّ المجالات المعرفية الحديثة الموظفة في دراسة اللغة الطبيعية، وتحليل الخطاب. وإن كانت "الأسلوبية" و"التداولية" تبدوان متنافرتين من حيث مرجعياتهما الفلسفية، وأصولهما المعرفية، وآليتهما الإجرائية في تحليل الخطاب، إلا أن هناك من سعى إلى إيجاد علاقة بينهما، وعلى رأسهم "جورج مولينييه" الذي حاول إقامة جسر بينهما انطلاقاً من نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل".

وهذه الورقة البحثية تحاول الإجابة عن إشكالية رئيسية: هل العلاقة بين الأسلوبية والتداولية علاقة تنافر، أم علاقة تكامل؟ وهي تهدف إلى: بيان المرجعية الفلسفية، والأصول المعرفية لكل من الأسلوبية والتداولية، وآليتهما الإجرائية في تحليل الخطاب، وآفاق التكامل بينهما، وآثاره على تحليل الخطاب، معتمدة الخطة الآتية:

- 1- الأسلوبية والتداولية: المرجعية الفلسفية، والأصول المعرفية.
 - 2- الأسلوبية والتداولية: الآليات الإجرائية.
 - 3- الأسلوبية والتداولية: آفاق التكامل وآثاره في تحليل الخطاب (مثال تطبيقي).
- ونختم البحث بخاتمة نرصد فيها أهم نتائج.

كلمات مفتاحية: الأسلوبية؛ التداولية؛ التنافر؛ التكامل؛ التحليل؛ الخطاب.

Abstract: Stylistics and Pragmatics are two of the most important modern cognitive fields used in discourse analysis. While they appear to be contradictory in terms of their philosophical references, cognitive origins and procedural mechanism, there are those who have sought a relationship between them, notably Georges Molinié, who tried to link them from the Speech acts theory by Austin and Searle.

This research paper attempts to answer a major problem: is the relationship between Stylistics and Pragmatics a dissonance, or integration? This is done by adopting the following plan:

- 1- Stylistics and Pragmatics: philosophical reference, knowledge assets.
- 2- Stylistics and Pragmatics: procedural mechanisms.
- 3- Stylistics and Pragmatics: prospects for integration and its implications for discourse analysis (practical example).

Finally, we conclude the research with a conclusion in which we mention its most important findings.

Keywords: Stylistics; Pragmatics; Dissonance; Integration; Analysis; Discourse.

1. مقدمة: نشأت العلوم متكاملة في حضان الفلسفة الإغريقية، فالفيلسوف لا يكون كذلك إلا إذا تضلّع من كلّ علوم عصره، ثم بدأت العلوم في الانفصال والاستقلال عن الفلسفة، واكتسب كل علم شرعيته بتحديد موضوعه، ومنهجه، وهدفه. واستمرت العلوم في التّشظّي إلى أن وصلت إلى ما يُعرف بالتخصص الدقيق، بيد أن الفصل بين العلوم ما هو إلا إجراءً منهجي من شأنه مساعدة الباحث على التعمق في دراسة علم ما، أو تخصص معيّن؛ للتوصل إلى نتائج أكثر دقة.

إن التخصص في مجال معرفي ما، وإن كان يعين على التوصل إلى نتائج أكثر دقة، إلا أنه لا يتسنى له ذلك منفرداً، وإنما يتحقق له بالاستعانة بمجالات معرفية أخرى، أو بتخصصات مساعدة؛ وذلك ما دفع الباحثين المعاصرين إلى الاتجاه نحو "تكامل المعارف".

ومن المجالات المعرفية الحديثة الموظفة تحليل الخطاب: "الأسلوبية" و"التداولية". وهما وإن كانتا تبدوان متنافرتين من حيث مرجعياتهما الفلسفية، وأصولهما المعرفية، وآليتهما الإجرائية في تحليل الخطاب، إلا أن هناك من سعى إلى إيجاد علاقة بينهما، وعلى رأسهم "جورج مولينييه GEORGES MOLINIÉ" الذي حاول إقامة جسر بينهما انطلاقاً من نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل".

وهذه الورقة البحثية تحاول الإجابة عن إشكالية رئيسية: هل العلاقة بين الأسلوبية والتداولية علاقة تصارع أم علاقة تكامل؟

وهي تهدف إلى: بيان المرجعية الفلسفية، والأصول المعرفية لكل منهما، وآليتهما الإجرائية في تحليل الخطاب، وأفاق التكامل بينهما، وآثاره على تحليل الخطاب.

وللإجابة عن إشكالية البحث سننتهج خطة من ثلاثة عناصر أساسية:

1. الأسلوبية والتداولية: المرجعية الفلسفية، والأصول المعرفية.
 2. الأسلوبية والتداولية: الآليات الإجرائية.
 3. الأسلوبية والتداولية: آفاق التكامل وآثاره في تحليل الخطاب (مثال تطبيقي).
- ونختم البحث بخاتمة نرصد فيها أهم نتائجه.

2. الأسلوبية والتداولية: المرجعية الفلسفية، والأصول المعرفية:

2. 1. الأسلوبية المنشأ والطور: نشأت الأسلوبية في بيئة لسانية؛ فهي مدٌّ من ثنائية "دو سوسير 1913-1857 Ferdinand de Saussure" (اللغة/الكلام Langue/Parole)؛ فمن المعلوم أن "سوسير" قد حصر موضوع اللسانيات في "اللغة"، حيث يقول: «وتشمل دراسة اللسان جزئين: واحد مهم، وموضوعه اللغة التي هي اجتماعية في ماهيتها، ومستقلة عن الفرد. وهذه الدراسة هي نفسية، وحسب. والآخر ثانوي، وموضوعه الجزء الفردي من اللسان، ونعني به الكلام بما فيه التصويت. وهذه الدراسة هي نفسية فيزيائية»¹.

ولئن كان "سوسير" قد حصر موضوع اللسانيات في دراسة الوجه الأول من الثنائية (اللغة)، فإن تلميذه "شارل بالي 1947-1865 Charles bally" قد توجه إلى دراسة الوجه الثاني منها (الكلام)؛ فكان بذلك مؤسس الأسلوبية منذ سنة 1902².

وإذا كان "سوسير" قد قسم اللسان إلى: لغة وكلام، فإن ثاني هذين القسمين (الكلام) يشتمل على مستويين من الاستخدام، أولهما: الاستخدام العادي (النفعي)، وثانئهما: الاستخدام الأدبي (الفني)³. ومنظرو علم الأسلوب يحصرون موضوع الأسلوبية في دراسة الأسلوب الأدبي (الفني).

وقد عرّفت الأسلوبية بتعريفات عدّة، يقترب بعضها، ويتباين بعضها الآخر؛ وذلك انطلاقاً من الزاوية التي ينظر منها كلُّ دارس للأسلوب. وإذا نحن حاصرنا تلك التعريفات، وجدناها لا تخرج عن كونها تعتمد أحد عناصر العملية التخاطبية الثلاثة: المرسل (المنشئ)، أو الرسالة (الخطاب، أو النص)، أو المرسل إليه (المتلقي، أو القارئ). ومن تعريفاتها أنها «علمٌ وصفيٌّ يُعنى ببحث الخصائص والسمات التي تُميّز النص الأدبيّ بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية»⁴.

ويرى "رومان جاكوبسون Roman Jakobson" بأن الأسلوبية جزء مكمل للسانيات⁵. وقد عرّفها - من منطلق البحث عن الشعرية في النص الأدبي - بأنها: «تُعنى بما يميّز به الكلام الفني عن سائر الفنون، وبقية مستويات الخطاب»⁶.

أما "ميشال ريفاتير Michael Riffaterre" فقد ركّز على المتلقي، ومن ثمّ كانت نظرتة إلى هذا العلم تصبّ في اتجاه المرسل إليه، فهو يرى «بأنها علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميّزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبّل...»⁷.

ومهما تعددت تعريفات الأسلوبية، فإنّها تتفق في نقطتين هامتين:

(أ) دراسة الوجه الثاني من ثنائية "سوسير"، أي (الكلام).

(ب) تتخذ من اللغة مدخلا لها في دراسة النص الأدبي؛ إذ «تتفق كل الاتجاهات الأسلوبية على أن المدخل

في أية دراسة أسلوبية ينبغي أن يكون لغويا»⁸.

- تطور الأسلوبية: تطورت الأسلوبية في اتجاهات مختلفة حتّى غدت (أسلوبيات)؛ فقد تعدّدت اتجاهاتها بتعدد مشارب روادها، واختلاف منطلقاتهم الفكرية. ويمكن تمييز خمسة اتجاهات بارزة للأسلوبية، وهي: الأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية النفسية، والأسلوبية البنوية، والأسلوبية الإحصائية، والأسلوبية الصوتية. وسنقف وقفة موجزة عند الاتجاهات الثلاثة الأولى؛ لعلاقتها الوثقى بموضوع هذه الورقة البحثية:

(أ) الأسلوبية التعبيرية: زعيمها "شارل بالي Charles bally 1865 - 1947" مؤسس علم الأسلوب، الذي تجاوز مقولات أستاذه "دو سوسير"، وذلك من خلال تركيزه على العناصر الوجدانية للغة⁹، فهو يهتم بالجانب الأدائي للغة الإبلاغية من خلال تأليف المفردات والجمل وتركيبها، انطلاقا مما يمليه وجدان المنشئ¹⁰. وقد توسّعت فيما بعد، فشملت دراسة القيم الجمالية الانطباعية والتعبير الأدبي¹¹.

(ب) الأسلوبية النفسية: تزعم هذا الاتجاه الألماني "ليو شبتزر Léo Spitzer 1887 - 1960" الذي اهتم بالمبدع وتفردّه في طريقة الكتابة؛ مما ينتج الخصوصية الأسلوبية عنده¹²، وبذلك يكون النص كاشفا عن شخصية صاحبه من خلال تحليل سماته الأسلوبية. وقد تجاوزت الأسلوبية النفسية البحث في التراكيب ووظيفتها في نظام اللغة إلى العلل والأسباب المتعلقة بالخطاب الأدبي¹³.

(ج) الأسلوبية البنوية: تعد الأسلوبية البنوية مدّا مباشرا من اللسانيات البنوية التي تعتمد أساسا على دراسات "دو سوسير"¹⁴؛ فاللغة في المنظور البنوي نظام من العلامات، وهذه العلامات تكتسب قيمتها من العلاقات المتبادلة بينها¹⁵. ومفهوم البنية يُظهر أن القيمة الأسلوبية للعلامة تتعلق بموقعها ضمن النظام، فكل علامة من العلامات تنتسب إلى بنيتين: الأولى: بنية القانون (اللغة)، وهي تحدد موقع العلامة ضمن الفئة (استبدالية). والثانية: بنية الرسالة (النص)، وتحتل العلامة فيها موقعا تركيبيا محدّدا¹⁶.

والبنوية - كما هو معروف - تنطلق في دراساتهما من النص بوصفه بنية مغلقة، وهي تركّز في تحليل النص الأدبي على علاقات التكامل بين عناصره اللغوية، والدلالات والإيحاءات التي تحققها تلك الوحدات اللغوية¹⁷.

ومن المهم - في هذا المقام - الإشارة إلى إسهام "ميشال ريفاتير Michael Riffaterre" في توجيه الأسلوبية البنوية نحو العلاقة بين الخطاب والمتلقي، بعد أن كانت تنصبّ أساسا على الخطاب، حيث يقول: «الملفوظ

والمتلقي هما حقيقةً العنصران الوحيدان المتضَمَّنان في هذا النوع من التواصل (الرسالة الأدبية)، حيث وجودهما يكون ضرورياً»¹⁸. وهو بذلك يتجاوز طرح "جاكوبسون" الذي يحوّل التحليل الأسلوبي إلى تحليل لساني، ليركز على فكرة التواصل التي تحمل طابع شخصية المتكلم في سعيه إلى لفت نظر المخاطب؛ فالرسالة الشعرية عنده تتكيّف مع متطلبات التواصل¹⁹. ومن هذا المنطلق كان اهتمامه بالعناصر اللغوية التي يضمّنها المنشئ نصه للتأثير على المتلقي.

2.2. التداولية: المنشأ والتطور: جاءت التداولية للإجابة عن أسئلة مثل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ هل يمكن أن نركن للمعنى الحرفي لقصد ما؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي لم تجد مكانها في المقاربات اللسانيات البنوية²⁰.

وقد نشأت التداولية في أحضان الفلسفة التحليلية (وبالضبط اتجاه اللغة العادية) التي تأسست في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه 1848-1899" انطلاقاً من رؤيته الدلالية. وقد اقتفى أثره الفيلسوف النمساوي "لودفيغ فيتغنشتاين L. Wittgenstein 1889-1951" الذي بحث في المعنى، وذهب إلى أنه ليس ثابتاً ولا محدداً²¹.

كما اقتفى أثر "فيتغنشتاين" مجموعة فلاسفة أو كفوردي، وفي مقدمتهم "ج.ل. أوستين John Langshaw Austin: 1911-1960" مؤسس "نظرية الأفعال الكلامية Speech Acts Theory"، وتلميذه "ج.ر. سيرل John Rogers Searle: 1932-..."، حيث انطلقوا من مسلمة مفادها أن: فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز أساساً على اللغة؛ وبذلك تغيّرت بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع "التحليل اللغوي"²².

ولا تُعدّ التداولية علماً لغوياً محضاً يكتفي بوصف الظواهر اللغوية وتفسير البنى اللغوية، بل إنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، وهو بذلك يمثل حلقة وصل بين مجالات معرفية متعددة في ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، منها: الفلسفة التحليلية، وعلم النفس المعرفي، وعلوم التواصل، واللسانيات بمختلف فروعها²³.

- تطور التداولية: يُعدّ الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس Charles Morris" أول من استخدم مصطلح "التداولية" سنة 1938 م؛ إذ قدم تعريفاً في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات (sémiologie)، حيث يعرف السيميائية بأنها دراسة علاقة العلامات بمفسريها²⁴، وهو يرى أن التداولية جزء من السيميائية.

وقد عرّفت التداولية بتعريفات عدّة، يلخصها "محمود أحمد نحلة" في تعريف جامع شامل يراه مقبولاً: «التداولية تعني دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction؛ لأنه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد مادي، واجتماعي، ولغوي، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»²⁵.

وقد شهدت التداولية العديد من التحولات منذ نشأتها في خمسينيات القرن العشرين إلى الآن، فبعد أن نُعتت في بداياتها بسلةً مُهملات اللسانيات، أصبحت حقلاً معرفياً منفتح الحدود، يتقاطع ويتكامل مع حقول معرفية مختلفة؛ مما وسع مجال دراستها.

ويمكننا تمييز ثلاث محطات رئيسة في تطور الدرس التداولي، نجملها في الآتي:

أ) المحطة الأولى (الإشاريات): تعود إلى سنة 1938م حين ميّز الفيلسوف الأمريكي "شارلز موريس" بين اختصاصات دراسة اللغة، وهي: علم التراكيب، وعلم الدلالة، والتداولية التي تُعنى في رأيه بالعلاقة بين العلامات ومستخدمها، إلا أنه اقتصر في دراسته على الإشاريات (الشخصية، والزمانية، والمكانية) ضمن المقام الذي يجري فيه التواصل²⁶.

ب) المحطة الثانية: وتتميّز هذه المحطة بظهور نظريتين أساسيتين في المقاربة التداولية، وهما: نظرية أفعال الكلام، ونظرية المحادثة.

- نظرية أفعال الكلام (Speech Acts Theory): وتتمثل في جهود "جون أوستين" من خلال "محاضرات وليم جيمس" التي ألقاها سنة 1955 بجامعة هارفرد. وقد كان يهدف إلى تأسيس اتجاه فلسفي جديد هو "فلسفة اللغة"؛ فأسس "نظرية أفعال الكلام" من خلال اعتباره أنّ «إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل، وإنشاء لحدث»²⁷؛ حيث لاحظ أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز فعل لغوي واحد على الأقل، مميّزا بين ثلاثة من الأفعال اللغوية: الفعل القولي، والفعل المتضمّن في القول، والفعل التأثيري²⁸. بيد أنّ هذه النظرية لم تكتمل إلا مع تلميذه الأمريكي "جون سيرل" الذي أسهم في سدّ ثغراتها، وإصلاح اختلالاتها، وضبطها منهجيا، ثم صوغها في نظرية محكمة²⁹؛ حيث قدّم تصنيفا بديلا للأفعال الكلامية عند "أوستين" يقوم على ثلاثة أسس منهجية، هي: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص³⁰. وقسم الأفعال الكلامية بالنظر إلى قوّتها الإنجازية خمسة أصناف: الإخباريات (التقريريات)، والتوجهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات (التصريحيات)³¹.

- نظرية المحادثة (قوانين الخطاب): وبرزت في هذه المرحلة إسهامات الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس" الذي شدّد في عملية التواصل على نوايا القائل وفهم المخاطب لهذه النوايا³²؛ مما قاده إلى تأسيس مفهومين مهمّين في إنتاج الخطاب وتأويله: الاستلزام الحوارية، ومبدأ التعاون الذي اقترحه "غرايس" كحلّ للإشكال المطروح: كيف يقول المتكلّم شيئا ويعني شيئا آخر؟ وكيف يسمع السامع شيئا ويفهم شيئا آخر؟ حيث يفترض أن المتحاورين عليهم احترام مجموعة من الضوابط؛ إذ يتوقعون أن يُسهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل الأقوال³³.

ويقوم مبدأ التعاون على أربعة قواعد أساسية يجب توفرها في الحوار: الكمّ، والكيف، والمناسبة، والطريقة³⁴.

ج) المحطة الثالثة: التداولية المدمّجة (نظرية الحجاج في اللغة): انطلق رائدها "أوزوالد ديكرود" Oswald Ducrot من ملاحظة أن الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة، وهي شروط مقنّنة ومتحقّقة في اللغة³⁵. وتعرّف التداولية المدمّجة بكونها نظرية دلالية تُدمج مظاهر التلفظ في السُنّة اللسانية (بمعنى اللسان langue عند دي سوسير)، وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تندرج في الأقوال، فتكيف تأويلها وفق غاية المتكلم³⁶.

والحجاج من منظور "ديكرود" صنف مخصص من العلاقات المودّعة في الخطاب، والمُدْرَجَة في اللسان ... والخاصّة الأساسيّة للعلاقات الحجاجية أن تكون درجيّة (Scalaire)، أو قابلة للقياس بالدرجات³⁷.

3. الأسلوبية والتداولية: الآليات الإجرائية:

3. 1. مستويات التحليل الأسلوبي وآلياته: تُعدّ الأسلوبية جزءاً مكتملاً للسانيات، كما وصفها "جاكوبسون"، ومن ثمة فهي تتكئ على اللسانيات في كثير من مفاهيمها وآلياتها الإجرائية، كما تتخذ من مستويات التحليل اللساني مستويات لها. يقول "ميشال ريفاتير": «بسبب صلة القرابة بين اللغة والأسلوب، يمكننا أن نأمل في استعمال المناهج اللسانية لوصف الاستعمال الأدبي للسان ووصفا موضوعيا مضبوطاً»³⁸.

3. 1. 1. المستوى الصوتي: تُدرّس فيه أصوات النص التي تشكّل ظاهرة أسلوبية، من حيث "الانزياح": فتفسّر دلالات الأصوات المتزاحة عن المعيار³⁹ حضوراً أو غياباً. كما تُدرّس من حيث "الاختيار" إذا ما وظّف المنشئ ألفاظاً تحتوي على أصوات بعينها، وفضلها على ألفاظ أخرى تكافئها دلالياً، مع ربط ذلك كله بموضوع النص والحالة النفسية للمنشئ.

3. 1. 2. المستوى الصرفي: تُدرّس فيه الصيغ الصرفية التي تشكّل ظاهرة أسلوبية، من حيث: التكرار، والاختيار، والانزياح، وتفسّر دلالاتها بربطها بموضوع النص والحالة النفسية للمنشئ.

3. 1. 3. المستوى التركيبي: وتُدرّس فيه الجمل والأساليب البلاغية التي تُشكّل سمة أسلوبية في النص؛ من حيث تركيبها النحوي (فعلية/اسمية، وبسيطة/مركبة)، ومن حيث بنيتها البلاغية (خبر/إنشاء: طلب/غير طلب)، وتفسّر دلالاتها بربطها بموضوع النص والحالة النفسية لصاحبه.

3. 1. 4. المستوى المعجمي: وتُدرّس فيه ألفاظ النص التي تمثل سمة أسلوبية بتكرارها، أو بإيحاءاتها وانزياحها عن دلالتها الأصلية. ويحسن بالمحلل الأسلوبي استثمار نظرية الحقول الدلالية: لمحاصرة دلالات ألفاظ النص، وتفسيرها بربطها بموضوع النص والحالة النفسية للمنشئ.

3. 1. 5. الصورة الأدبية: يغفل كثير من محلي الأسلوب عن هذا العنصر المهم في الفنّ الأدبي؛ فالصورة في الأدب «ليست من قبيل "الزينة" الطارئة على المعنى الأصلي»⁴⁰، بل إنها «الجوهر الثابت والدائم في الشعر»⁴¹. وتدرس الصورة الشعرية في مستويين: الأول: الصور الجزئية، متمثلة في الصور البلاغية، والرمز، والأسطورة، والصورة الحقيقية... أما الثاني، فترس فيه الصورة الكلية التي تتشكل من مجموع الصور الجزئية. ولا يغفل عن ربط ذلك كله بموضوع النص والحالة النفسية لصاحبه.

وعلى العموم، فإن المقاربة الأسلوبية تقوم على إبراز القيم الجمالية للغة النص المدروس التي تجعل منه نصاً أدبياً متفرداً في بابه، دون إصدار أحكام تقييمية؛ لأن ذلك من مهمة النقد الأدبي. يقول "ريفاتير": «الأحكام التقييمية مهمة النقد، فهي عملٌ ما وراء أسلوبي (méta-stylistique): موضوع الأسلوبية ليس إلا الملاحظة»⁴².

3. 2. آليات التحليل التداولي: لم تُحدّد التداولية منهجية معينة، ولا آليات إجرائية محدّدة للتحليل، ولعلّ ذلك راجع إلى تشعب موضوعاتها.

وإذا أنعمنا النظر في إجراءات التحليل التداولي، وجدناها تنبثق من تصنيف الهولندي "هانسون" Hansson الذي يُعدّ أول من حاول التوحيد النسقي والربط بين مختلف مباحث التداولية؛ فقسيمها إلى ثلاث درجات، بحيث يمكن الانتقال من درجة إلى أخرى، اعتماداً على مظهر من مظاهر السياق⁴³:
- تداولية الدرجة الأولى: تدرس الإشارات ضمن سياق استعمالها.

- تداولية الدرجة الثانية: (قوانين الخطاب) وفيها تتم دراسة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي.

- تداولية الدرجة الثالثة: وفيها تتم دراسة "أفعال الكلام".

ويمكن حصر أهم الآليات الإجرائية لتحليل التداولي في الآتي:

3. 2. 1. القصد: لمفهوم القصدية دور محوري في تأويل الملفوظات، على اعتبار أنّ المتكلم لا يُصرِّح بمقاصده في كثير من الأحيان⁴⁴. ويُعدّ قصد المتكلم معياراً أساسياً لتصنيف القوى المتضمنة في القول عند أوستين وسيرل⁴⁵.

3. 2. 2- الإشارات⁴⁶: نعني بالإشارات تلك العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها. وإذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي. ويدرس التداوليون أربعة أصناف من الإشارات: الإشارات الشخصية (الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة)، والإشارات الزمانية (أمس، غدا، الآن...)، والإشارات المكانية (هنا، هناك...)، والإشارات الاجتماعية (فخامة الرئيس، سمو الأمير، معالي الوزير...).

3. 2. 3. متضمنات القول (قوانين الخطاب)⁴⁷: تتعلق بتحليل الظواهر الضمنية من قوانين الخطاب التي تحكمها ظروف الخطاب، وتتمثل في:

(أ) الافتراض المسبق: يفترض انطلاق المتحاورين من مُعطيات مُتعارف عليها بينهم.

(ب) الأقوال المضمرّة: دراسة مجموعة المعلومات التي يُمكن أن يحتويها الخطاب، ويكون تحقيقها في الواقع مرهون بخصوصيات سياق التخاطب.

(ج) الاستلزام الحواري: دراسة الجمل التي تدل على معنى غير محتواها القضيوي؛ ويُوظّف في ذلك مبدأ التعاون⁴⁸ الذي يُعدّ حلاً للإشكال المطروح: كيف يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ وكيف يسمع السامع شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟

3. 2. 4. الأفعال الكلامية: تُعدّ دراسة الأفعال الكلامية في تأويل الخطابات المختلفة في صميم الدراسة التداولية، والفعل الكلامي عند "أوستين" و"سيرل" يعني: «الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثله: الأمر، والتّهي، والوعد، والسؤال، والتّعيين، والإقالة، والتّعزية، والتّهنئة...»⁴⁹. ويتكوّن الفعل الكلامي من ثلاثة أفعال:

(أ) الفعل القولي: ويراد به النشاط اللغوي الصّرف الذي يتحقق ما إن يتلفظ به المتكلم. ويشتمل "فعل القول" على المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

(ب) الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول): وهو الفعل الذي يتحقق بقولنا شيئاً ما، أي: ما نقوم به من خلال كلامنا⁵⁰، أو ما يؤديه الفعل القولي من وظيفة في الاستعمال، كالوعد، والتّحذير، والأمر، والنصح... وهو محور هذه النظرية وهدفها⁵¹.

ويُرَكِّزُ في دراسة الفعل الإنجازي على دراسة على قوَّته الإنجازية، اعتماداً على القصد، والهدف من الكلام، وسياقه.⁵²

(ج) الفعل التأثري (الفعل الناتج عن القول): وهو الأثر الذي يحدثه الكلام (الفعل الإنجازي) في المتلقي. ويختلف نوع هذا الأثر حسب سياق الكلام.⁵³ وتصنيف الأفعال الكلامية خمسة أصناف: الإخباريات (التقريريات)، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات (التصريحيات).

3. 5. 2. الحجاج: وتُدْرَس فيهِ العناصر اللغوية التي يوظّفها المتكلّم بقصد توجيه خطابه وجهة ما⁵⁴. ومن أهم الآليات المطبقة في دراسة الحجاج اللغوي:

(أ) السّلم الحجاجي: ويتمثل في دراسة العلاقة التراتبية للحجج التي توصل إلى نتيجة⁵⁵، وتُعدّ الاستعارة أقوى حججاً من الأقوال العادية المباشرة⁵⁶.

(ب) الروابط الحجاجية: وهي المؤشرات اللغوية التي تربط بين حجّتين أو أكثر، مثل: بل، لكن، حتّى، لاسيما، إذن، لأنّ...⁵⁷

(ج) العوامل الحجاجية: وتتمثّل في العناصر اللغوية التي تُقيدُ الإمكانيات الحجاجية لقول ما، مثل: ربّما، تقريبا، ما...إلا، كاد...⁵⁸

3. 2. 6. السياق: تعتمد المقاربة التداولية على السياق اعتماداً يكاد يكون كلياً. ويُعرّف السياق التداولي بأنّه كلّ ما كان خارج اللغة، ويساهم في تحديد معنى العبارة، أو الملفوظ، فالسياق يضع الملفوظ مقابل الجملة، أو العبارة في لسانيات الخطاب. ويشمل السياق المشاركين في الخطاب، والظروف الزمانية والمكانية، والمقاصد، والأهداف، والمعتقدات، والمعرفة المشتركة بين أطراف الخطاب⁵⁹.

4. الأسلوبية والتداولية: آفاق التكامل وآثاره في تحليل الخطاب: إنّ التباين الواضح بين الأسلوبية والتداولية من حيث: المنشأ، والأهداف، والآليات الإجرائية قد يوحي بأن إمكانية التكامل بينهما شبه مستحيلة، ولعلّ وقوفنا على أهم أوجه التباين وأوجه التقارب بينهما قد يساعدنا في تلمّس طريق التكامل بينهما:

4. 1. أوجه التباين:

(أ) المنشأ والموضوع: رأينا بأن الأسلوبية والتداولية نشأتا في بيئتين مختلفتين، فالأولى نشأت في بيئة لسانية؛ إذ إنّ موضوعها هو دراسة الوجه الثاني من ثنائية دو سوسير (اللغة / الكلام)، وهي تدرس الكلام الفني (الأدبي)، وتنكّب عن الكلام العادي (التّفعي).

أما التداولية، فقد نشأت في بيئة فلسفيّة، واتّخذت ممّا أهملته اللسانيات موضوعاً لها؛ فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، وإنما تدرس اللغة عند استعمالها في المقامات التواصلية المختلفة⁶⁰.

(ب) الهدف: يختلف هدف الأسلوبية عن هدف التداولية، فالأسلوبية تهدف إلى الوقوف على جماليات الخطاب وسماته الأسلوبية التي تُميّزه عن غيره من الخطابات، وتجعل منه فِرادة في بابه.

أما التداولية، فتهدف إلى الإجابة عن أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ هل يمكن أن نركن للمعنى الحرفي لقصد ما؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي لم يكن لم تجد مكانها في المقاربات اللسانية البنوية...⁶¹

ج) الآليات الإجرائية: تختلف الآليات الإجرائية التي تعتمدها الأسلوبية في تحليل الخطاب عن تلك التي تعتمدها التداولية، فالأسلوبية تعتمد مستويات التحليل اللساني في تحليل البنية اللغوية للخطاب؛ بهدف إبراز جمالياته، وسماته الأدبية المميّزة.

أما التداولية، فلا تُحدّد مستوى لسانيا معيّنًا، تسعى إلى الوصول إلى أغراض المتكلمين ومقاصدهم، ومتضمنات القول (الأقوال المضمرة)، والقوة الإنجازية لأفعال الكلام، والوسائل الإقناعية...
2.4. أوجه التقارب: على الرغم من أن الأسلوبية والتداولية متباينتان منشأً، وهدفًا، وإجراءً، إلا أنّ هناك أوجهًا للتقارب بينهما، ومنها:

أ) دراسة المنجز اللغوي: كلٌّ من الأسلوبية والتداولية تدرس المنجز اللغوي، أي: الكلام المنتج الذي يتّسم بطابع الفردية، بيد أنّ الأسلوبية تدرس الوجه الثاني منه (الكلام الفني)، أما التداولية، فتدرس الوجهين: الكلام النَّفسي، والكلام الأدبي.

ب) لغة الخطاب: تنطلق كلٌّ من الأسلوبية والتداولية من دراسة العناصر اللغوية للخطاب، غير أنّ الأسلوبية تتعامل مع تلك العناصر اللغوية على أساس أنها مقصودة لذاتها؛ بحثًا عن وظيفتها الشعريّة، بينما تتخذها التداولية مؤشّرات تُحيل إلى البحث في ما وراء لغة الخطاب (مقاصد المتكلم وأغراضه، مُتضمنات القول، أفعال الكلام...).

ج) الاتكاء على البلاغة: كلٌّ منهما تتكئ على البلاغة، غير أنّ الأسلوبية تستفيد من بلاغة الإنشائية (الجمالية) والبلاغة الإقناعية، أما التداولية، فتستثمر البلاغة الإقناعية⁶².

د) المتلقي: تشترك أسلوبية المتلقي عند "ريفاتير" مع التداولية في اهتمامهما بالمتلقي؛ فـ "ريفاتير" يرى بأن الظاهرة الأدبية لا تكمن في علاقة المؤلف بالنص، وإنما في علاقة النص بالقارئ، وأنها ليست النص وحده، بل القارئ أيضًا وردّ فعله⁶³. ومن هذا المنطلق كان اهتمامه بالعناصر الأسلوبية التي يضمّنها المنشئ نصه للتأثير على المتلقي.

3.4. آفاق التكامل بين الأسلوبية والتداولية: لعلّ ما قدّمنا من أوجه التقارب بين الأسلوبية والتداولية يُبيح لنا أن نتصوّر آفاقًا للتكامل بينهما، وذلك ما سعى إليه "جورج مولينييه" الذي حاول إقامة جسر التواصل بين الأسلوبية والتداولية، انطلاقًا من "نظرية الأفعال الكلامية" كما ظهرت مع "أوستين" و"سيرل"⁶⁴.

ويعود "مولينييه" إلى "ألين برّوندونير" Alain Berrendonner "الذي يرى أنّ كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته ولمجرد كونه إنتاجًا كلاميًا، في حين أنّ القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقًا فعليًا بواسطة التكلم وحده"⁶⁵.

كما يرى "مولينييه" أنّ قيمة العمل الفني هي شيء إضافي، وهي ذات بُعدين: لغوي، وغير لغوي: فـ «عندما يتمّ تلقّي عملٍ فنيّ من حيث هو عملٌ فنيّ تُؤلّد قيمةً، وهذه القيمة لا توجد في أيّ مكون من مكوناته، فهي تنتمي إلى طبيعة لغوية - وهذا هو واقعها المادي- وتنتمي في الوقت نفسه إلى طبيعة الحدث غير اللغوي بقدر ما يصبح الفعل اللغوي نفسه حدثًا في العالم، تمامًا مثل اللوحة الفنية، أو السيمفونية، أو المنحوتة في عالم الأشكال الجمالية، ومثل الطاولة أو المحرك في العالم الاجتماعي-الاقتصادي. هذه القيمة علامة الرهان البراغماتي للفظ الكلامي، وهي هدفه ونتيجة له»⁶⁶.

ويُفسر "مولينييه" تصوره للقيمة التداولية للفعل الكلامي ذي الطبيعة الأدبية، بأنّ هذه القيمة التداولية «تقوم بعملية إبدال وتحويل وتصعيد بحيث تجعل من العمل الكتابي شيئاً فنياً. وتضع هذه القيمة النشاطَ الكتابي على أساس كونه ممارسة للمرجعية الذاتية في العمل اللغوي. إنّ الفعل الكلامي الذي يتّسم بكونه أدبياً هو "تأثيري"، أو لا يكون شيئاً. فالأدبية هي إنجازية (performativité) مُطلقة للغة؛ إذ تتحوّل إلى وظيفة شعريّة، أي إنّ الفعل الخلاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء»⁶⁷.

وقد خلص "مولينييه" بعد تحليله لعلاقة الأسلوبية بالسيمياء (Sémiotique) إلى القول: «والحال أنّ المقاربة الأسلوبية هي مقاربة الأدبية مقاربةً براغماتية»⁶⁸، ومن ثمّ، فهو يرى أنه من المستحيل -تقريباً- إدراك أدبية النص إلا بواسطة المفردات البراغماتية⁶⁹، فالبعد البراغماتي هو الذي يُتيح قياس الأدبية⁷⁰.

وتظهر حاجة الأسلوبية الماسّة إلى استثمار مقولات التداولية - حسب مولينييه- في تحليل الصّور الأدبية، حيث يقول: «يجب على عالم الأسلوبية أن يُحيط أشدّ الإحاطة بالفاصل، أو الفراغ الذي يُليّ فيه فعلُ الكلام المجازي حاجة الإشارة إلى ما لا يُمكن قوله، أو إلى ما هو خارج القول. وهذا يؤكّد أنّ تحليل الصور لا يكون مُجدياً إلا في ضوء البعد البراغماتي»⁷¹.

إنّ العلاقة بين الأسلوبية والتداولية في منظور "مولينييه" إذاً لا تقف عند حدود الالتقاء، بل إنّ الأمر يغدو تحوّلاً واتجاهاً⁷²، أي إنه تحوّلٌ في التصوّر، والآليات الإجرائية للممارسة الأسلوبية، غير أنّ «إمكانية تلاقي هذين المنهجين على صعيد واحد، لا يمكن أن تتمّ إلا إذا صادق التداوليون والأسلوبيون معا على تصور موحد في نظرية المعنى: فإذا اقتصر التداوليون على المعنى المقامي واعتبروه عمدة التفسير، وانكب الأسلوبيون على المعنى اللغوي (الحرفي المجازي على حدّ تعبيره فقط) فإن هذا الافتراق الجوهرى في تصور المعنى لا يسمح بتلاقي المنهجين إلا إذا عدّل كل منهما من منظوره إلى هذه المسألة المركزية»⁷³.

4. 4. آثار التكامل بين الأسلوبية والتداولية على تحليل الخطاب (مثال تطبيقي): لتوضيح آثار التكامل

بين الأسلوبية والتداولية، نقترح هذا المثال التطبيقي:

تروي كتب الأدب أن عامر بن الطفيل (50 ق هـ – 11 هـ) هجا النابغة الذبياني (ت: 18 ق هـ) بعد وقعة

حُسي التي كانت لذيبيان على عبس بقصيدة مطلعها [من الوافر]:

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي زِيَادًا *** غَدَاةَ الْقَاعِ إِذْ أَرَفَ الضَّرْبُ

وكان النابغة غائبا، فلما بلغ ذلك الشّعُرُ شعراء بني ذبيان أرادوا هجاءه، فلما عاد النابغة سألهم: ما قلتم

لعامر؟ فأندسوه، فقال: أَفَحَشْتُمْ عَلَى الرَّجُلِ، وهو رجل شريف لا يُقال له مثل هذا، ولكن دعوني أُجبه وأصعّر

له نفسه، وأفضّلُ أباه وعمّه عليه، فإنّه يرى نفسه أنّه أفضلُ منهما، وأعيّره بالجهل والشباب⁷⁴.

فأجابه النابغة بمقطوعة من ستة أبيات يقول فيها [من الوافر]⁷⁵:

فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا *** فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

فَكُنْ كَأَبِيكَ أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ *** تُؤَافِقُكَ الْحُكُومَةُ وَالصَّوَابُ

فلما بلغ ذلك الرّدُ عامرا، قال: «ما هجاني أحدٌ حتى هجاني النابغة، جعلني القوم رئيسا، وجعلني النابغة

سفيها جاهلا، وتهكّم بي»⁷⁶.

4. 4. 1. القصد: قصد النابغة من ردّه على عامر بن الطفيل تحقيره، وتهوين شأنه، فهو يعلم أنّه يرى نفسه أفضل من أبيه وعمّه؛ فلم يسبّه، أو يشتمه، وهو رجلٌ شريف، وإنما سلك في ذلك مسلكا آخر، معتمدا على السياق الاجتماعي.

4. 4. 2. السياق الاجتماعي ودوره في إبراز دلالات الملفوظ: إنّنا إذا ما رُمنا دراسة هذه الأبيات دراسة أسلوبية لا نكاد نظفر منها بقيمة أسلوبية؛ فالصورة البلاغية في البيتين تبدو للوهلة الأولى خالية من أيّ إحياء، فالصاق صفة الجهل والطيش بعامر بن الطفيل جليّة في البيتين، ولن يتسنى لنا إدراك إحياءاتها إلا بوضعها في سياقها الاجتماعي؛ فإذا ما وضعناه في السياق الاجتماعي الذي قيلت فيه، وجدناها محمّلة بالإحياءات، وذلك من خلال تفضيل أبي عامر وعمّه "أبي براء" عليه؛ فقد كان من عادة العرب إذا عيّروا رجلاً ألاّ يفضّلوا عليه الأباعد، وإنّما يفضّلون عليه الأقارب، فيكون ذلك أشدّ وقعا في نفسه؛ ولذلك عدّ كثيرٌ من النقاد بيت جرير في هجاء الرّاعي التّميريّ أهجى بيتٍ قالته العرب، لما قال [من الوافر]:

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ *** فَلَا كَغُبَا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

فبنو نُمير (قوم الراعي)، وبنو يربوع (قوم جرير)، وكعبٌ، وكلابٌ كلّهم أبناء عمومة، جدّهم الأكبر (تميم). إنّ دراسة أبيات النابغة سألقة الذكر بمعزل عن سياقها الاجتماعي يحول بين إدراك دلالاتها المضمرّة، ولعلّ ذلك ما جعل الدكتور شوقي ضيف يحكم على هجاء النابغة بأنه لا يتوقّر على مهارته فيه كما في المديح والاعتذار والرثاء، فقد علّق على الأبيات السابقة بقوله: «وهي أبيات تخلو من الإقذاع في الهجاء المعروف عند الجاهليين. وهو يعمد فيها بذوقه الحضري إلى التهمك به والسخرية منه...»⁷⁷.

ليس الذوق الحضري فقط هو الذي منع النابغة من ذلك، بل إنّ البيئة الاجتماعية وتقاليدها هي التي جعلته ينحو ذلك المنحى. فقد كان ذلك أشدّ وطأة على نفس عامر بن الطفيل؛ فقال لما بلغه ذلك الهجاء: «ما هجاني أحدٌ حتى هجاني النابغة، جعلني القوم رئيسا، وجعلني النابغة سفها جاهلا وتهكّم بي»⁷⁸.

4. 4. 3. حجاجية الصورة البلاغية: تَبَوَّأت الصورة البلاغية مكانة مرموقة في ميدان النظرية الحجاجية، وهي تنضوي تحت لواء الحجج المؤسّسة لبنية الواقع، تلك الحجج التي تربطها بالواقع صلة وثيقة، ولكنها لا تتأسس عليه، وإنّما هي التي تؤسس هذا الواقع وتبنيه⁷⁹. والصورة البلاغية يمكن عزلها عن سياقها البلاغي؛ لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية كما هو مطلوب في الحجاج، لا أن تؤدي وظيفة جمالية إنشائية كما هو مطلوب في البلاغة، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول؛ لأداء أغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية⁸⁰.

لقد وظّف النابغة في البيتين التشبيه الذي يُعدّ من أكثر الحجج استعمالا وتداولاً في شعرنا القديم. والتشبيه هنا لا يقوم على ربط علاقة بين شيئين اشتركا في صفة، أو أكثر بواسطة أداة، وإنّما يدعو إلى إيجاد تلك العلاقة بين غير المشتركين في الصفة، فقد رسم النابغة صورة لعامر بن الطفيل الشّاب السّففيه الطائش مقابل صورة أبيه وعمّه الحكيمين.

إن هذا التشبيه لا تبرز قيمته الأسلوبية إلا بربط جسر بين الأسلوب والتداولية استنادا إلى قوّته الحجاجية التي يمكن تمثيلها في السلم الحجاجي الآتي:

(ن: حكيما)	(ن: سفيه)
- يقولان الصواب	- يقول جهلا
- شيخان	- شاب
- أبو عامر وأبو براء	- عامر

4.4.4. أفعال الكلام: تشترك الأسلوبية والتداولية في دراسة الأساليب البلاغية (الخبر/ الإنشاء)، بيد أن الأسلوبية تدرسها من منظار جمالي، أما التداولية، فتدرسها من منظار إقناعي/تأثيري.

ونحن إذا ما أردنا دراسة قول النابغة أسلوبيا:

فَكُنْ كَأَبِيكَ أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ *** تُوَافِقُكَ الْحُكْمَةُ وَالصَّوَابُ

وجدنا أن البيت احتوى أسلوب أمر: "فَكُنْ كَأَبِيكَ أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ" غرضه التحقير، وإن شئت التحدي أو التعجيز. إن التحليل الأسلوبي لأسلوب الأمر في هذا البيت ليَقْصُرُ عن إبراز جمالياته، فهو لا يتعدى الكشف عن غرضه البلاغي، ولا مناص ها هنا من الاستعانة بالتحليل التداولي؛ لإبراز قوته الإنجازية، والفعل التأثيري الناتج عنه.

تدرس التداولية أسلوب الأمر ضمن نظرية أفعال الكلام، أي: «الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة»⁸¹. ويصنف أسلوب الأمر ضمن التوجيهات التي تعني: محاولة حمل المستمع على التصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى القضوي للتوجيه، فكل توجيه هو تعبير عن رغبة أن يقوم المستمع بالفعل الموجه له⁸².

والأمر في هذا البيت من الأفعال الإنجازية المباشرة التي تُطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم، أي: يكون فيها ما يقوله المتكلم مطابقا لما يعنيه، وما يفهمه المخاطب⁸³.

- فعل القول: وهو النشاط اللغوي الصّرف الذي يتحقق ما إن يتلفظ به المتكلم، أي: الكلام السليم نحويا، المفيد دلاليا الذي يتلفظ به المتكلم⁸⁴ "كُنْ"، وهو فعل مباشر.

- الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول): ويتميز بكونه ذا قوة إنجازية تتمثل في قصد، أو هدف المخاطب من الكلام الذي أصدره، أي محاولة المخاطب إنجاز غرض تواصلية معين⁸⁵. ويتمثل في "الأمر: كُنْ..."

- القوة الإنجازية (درجة): تتمثل في الشدة أو الضعف اللذين يُعبرُ بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معين⁸⁶. ومؤشر القوة الإنجازية في البيت هو فعل الأمر "كُنْ" (فعل الكينونة/ الوجود).

- الغرض الإنجازي (وظيفة): إن الغرض الإنجازي من فعل الأمر "كُنْ" في البيت هو التّحقير؛ فيما أن يكون عامرٌ حكيما مثل أبيه وعمّه، وإلا لا يحقّ له الفخر وادّعاء السيادة.

- الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول): وهو الأثر الذي يحدثه الكلام (الفعل الإنجازي) في المتلقي. ويختلف نوع هذا الأثر حسب سياق الكلام⁸⁷. ويظهر الفعل التأثيري في وقع الفعل التوجيهي (الأمر) في نفس المخاطب (المهجو: عامر بن الطفيل)، فقد قال لما بلغه هذا الشعر: «ما هجاني أحدٌ حتى هجاني النابغة، جعلني القوم رئيسا، وجعلني النابغة سفيها جاهلا، وتهكم بي»⁸⁸.

5. خاتمة: في نهاية هذا العرض الموجز عن الأسلوبية والتداولية، وآفاق التكامل بينهما يمكننا أن نخلص

إلى مجموعة من النتائج، نوجزها في الآتي:

1. الأسلوبية والتداولية من أهم المجالات المعرفية الموظفة في تحليل الخطاب. وقد تعددت اتجاهاتهما

باختلاف مشارب الباحثين فيهما، حتى غدت الأسلوبية أسلوبيات، والتداولية تداوليات.

2. نشأت كلُّ الأسلوبية والتداولية في بيئتين مختلفتين؛ فقد نشأت الأولى في رحاب اللسانيات البنوية، أما

الثانية، فقد نشأت في أحضان الفلسفة التحليلية.

3. تتخذ الأسلوبية من الخطاب الأدبي موضوعاً لها، أما التداولية، فتدرس كلَّ أنواع الخطاب.

4. تهدف الأسلوبية إلى إبراز جماليات الخطاب الأدبي من خلال تحليل لغته في مختلف مستويات التحليل

اللساني. أما التداولية، فتهدف إلى الإجابة عن الأسئلة التي أهملتها اللسانيات البنوية، من قبيل: ماذا نصنع حين

نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ هل يمكن أن نركن للمعنى الحرفي لقصد ما...؟

5. تختلف الآليات الإجرائية المطبقة في تحليل الخطاب بين الأسلوبية والتداولية؛ إذ تعتمد الأسلوبية على

البنية اللغوية للخطاب؛ بحثاً عن سماتها الجمالية، في حين لا تنظر التداولية إلى العناصر اللغوية إلا بكونها

مؤشرات مساعدة على معرفة أغراض المتكلمين ومقاصدهم، ومتضمنات القول (الأقوال المضمرة)، والقوى

الإنجازية، والتأثيرية للأفعال الكلامية، وحجاجية الملفوظات...

6. تلتقي الأسلوبية والتداولية في مجموعة من النقاط، أهمها:

(أ) دراسة المنجز اللغوي لا اللغة؛ فكلتاها تدرس الوجه الثاني من ثنائية "دو سوسير" (اللغة/الكلام)،

غير أن الأسلوبية تدرس الكلام الأدبي، أما التداولية، فتدرس الكلام النفعي والكلام الأدبي.

(ب) الاتكاء على البلاغة؛ حيث تستثمر الأسلوبية (الحديثة) البلاغة الإقناعية، وبلاغة الإنشائية، في حين

تستثمر التداولية البلاغة الإقناعية.

(ج) الاهتمام بالمتلقي: ترى "أسلوبية التلقي" أنّ القارئ وردود أفعاله عنصرٌ أساس من عناصر الظاهرة

الأدبية، كما أن المتلقي يُعدّ عنصراً أساساً من عناصر السياق التداولي.

7- التكامل بين الأسلوبية والتداولية: على الرغم من تباين الأسلوبية والتداولية منشأً، وهدفاً، وإجراءً، إلا

أنه يمكن ربط جسر بينهما، تُعبّر من خلاله الأسلوبية لاستثمار مقولات التداولية؛ مما يعود بالنفع على تحليل

الخطاب. ومن أهم مقولات التداولية التي يمكن للأسلوبية استثمارها في تحليل الخطاب:

(أ) القصديّة: قد لا يكون التحليل الأسلوبي -في بعض الأحيان- قادراً على إبراز جماليات النص إلا بالعودة

إلى مقاصد المتكلمين، كما رأينا في المثال التطبيقي السابق.

(ب) السياق: في كثير من الأحيان لا يكون السياق النصي قادراً على إبراز جماليات الأسلوب، إلا بوضعها

في سياقها (الاجتماعي، الثقافي، الديني...).

(ج) الأقوال المضمرة: قد يجد الأسلوبي نفسه مضطراً إلى تجاوز البنية اللغوية للخطاب، في تفسير الدلالات

غير المصرح بها لفظاً، ويكون تحقيقها في الواقع مرهون بخصوصيات سياق التخاطب.

(د) حاجية الصورة الأدبية: لا تكمن جماليات الصورة البلاغية في بُعدها البلاغي أو الأسلوبي فقط، بل إنَّ لها بُعداً حجاجياً تداولياً، يمكن للأسلوبية استثماره في إبراز مدى جمالياتها؛ فبعض الصور لا يكون تحليلها أسلوبياً مجدداً إلا في ضوء بُعدها التداولي.

(هـ) أفعال الكلام: بما أنَّ أفعال الكلام في الخطاب الأدبي تتسم بكونها تأثيرية تؤدي وظيفة شعرية، فإنه من المفيد للأسلوبية أن تستثمرها في إبراز قواها وأغراضها الإنجازية، حين تقصر مقولة الخبر والإنشاء عن الإيفاء بالغرض.

وأخيراً نخلص إلى القول: إنَّ البحث في آفاق للتكامل بين الأسلوبية والتداولية لا تقف عند حدود الالتقاء، بل إنَّه تحوّل واتجاهٌ جديدٌ في التصوّر، والآليات الإجرائية للممارسة الأسلوبية، يمكن أن يُصطلح عليه بـ "تداولية الأسلوب".

6. قائمة الإحالات:

- 1- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éditions Talantikit, Bejaia, Algérie, 2002, p 30.
- 2- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، (نحو بديل ألسني في نقد الأدب)، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1977، ص16.
- 3- ينظر: فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص16-17.
- 4- المرجع نفسه، ص35.
- 5- Roman Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, tr Nicolas Ruwet, Les Éditions de Minuit, Paris, 2007, p 210.
- 6- Ibid, p 210.
- 7- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص45.
- 8- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص44.
- 9- موسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص10.
- 10- محمد بلوحي، (الأسلوب بين التراث العربي والأسلوبية الحديثة)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد: 95، السنة: 24، أيلول 2004 <http://www.awu.dam.org/trath/ind-turath95.htm>
- 11- بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، تر، منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص44.
- 12- محمد بلوحي، (الأسلوب بين التراث العربي والأسلوبية الحديثة)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد: 95، السنة: 24، أيلول 2004 <http://www.awu.dam.org/trath/ind-turath95.htm>
- 13- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب-دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة، الجزائر، 1997، ج1، ص67.
- 14- المرجع نفسه، ج1، ص85.
- 15- بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص62.
- 16- المرجع نفسه، ص74.
- 17- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص82.
- 18- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In, Langue française, N° 3, 1969, p93.
- 19- موسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص16.
- 20- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1987، ص5.
- 21- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص18-20.
- 22- المرجع نفسه، ص21.
- 23- المرجع نفسه، ص16.
- 24- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ص12.
- 25- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م، ص14.

- ²⁶- ينظر: أن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، 2003، ص29.
- ²⁷- يُنظر: جون لونغشيو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف نجز الأشياء بالكلام)، تر: عبد القادر قينيبي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008، ص17.
- ²⁸- يُنظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص123 وما بعدها.
- ²⁹- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.
- ³⁰- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: صلاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2011، ص181-182.
- ³¹- ينظر: المصدر نفسه، ص183-184. و
- ³²- أن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص53.
- ³³- المرجع نفسه، ص55.
- ³⁴- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص34.
- ³⁵- أن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص47.
- ³⁶- صابر الحباشة، الأسلوبية والتداولية-مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص50.
- ³⁷- المرجع نفسه، ص50.
- ³⁸- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In Langue française, N°3, 1969, p90.
- ³⁹- اختلف منظرو الأسلوبية في تحديد معيار الانزياح؛ فمهم من يرى أن المعيار الذي يمكن الاستناد إليه في تحديد الانزياح هو المستوى العادي للغة، أي ما ارتضاه علماء النحو، وما أقره اللغويون، بينما يقترح "ليو شبتزر" وضع عمل المبدع كإله في مقابل لغة عصره، أما "ريفاتير"، فقد أرجع المعيار إلى النصّ نفسه؛ فالحدث الأسلوبية عنده مرتبط أساسا بالسياق الذي يُنتجه، فيما اقترح "جون كوهين" أن يُتخذ النثر مستوى عاديًا ومعيارًا، والشعر "مجازة Ecart" تُقاس إلى ذلك المعيار (النثر). ينظر: محمد بن يحيى، الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعري المعاصر، فكرة كوم، ورقلة، الجزائر، ط1، 2022، ص88-89.
- ⁴⁰- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، ص383.
- ⁴¹- المرجع نفسه، ص7.
- ⁴²- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In, Langue française, N° 3, 1969, p94.
- ⁴³- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص38.
- ⁴⁴- عمر بلخير، إجراءات التحليل التداولي للخطاب، <https://www.facebook.com/lissaniyat/posts/2643094705722086>، تاريخ الاطلاع: 2023/09/09، ص10:35
- ⁴⁵- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص44.
- ⁴⁶- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2003، ص80 وما بعدها.
- ⁴⁷- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص30-31.
- ⁴⁸- ينظر: أن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص55.
- ⁴⁹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص10.
- ⁵⁰- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص61.
- ⁵¹- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص172.
- ⁵²- علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط1، 1996، ص51.
- ⁵³- ينظر: المرجع نفسه، ص43.
- ⁵⁴- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبوع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص16.
- ⁵⁵- ينظر: المرجع نفسه، ص20 وما بعدها.
- ⁵⁶- المرجع نفسه، ص103.
- ⁵⁷- المرجع نفسه، ص27.
- ⁵⁸- المرجع نفسه، ص27.
- ⁵⁹- أبو بكر العزاوي، الحجاج ومناهج تحليل الخطاب، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، جامعة الوادي، الجزائر، مج: 9، ع: 2، السنة: 2017، ص8.

- 60- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 26.
- 61- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 5.
- 62- ينظر: صابر الحباشة، الأسلوبية والتداولية-مداخل لتحليل الخطاب، ص 43.
- 63- ينظر: مونية مكرسي، التفكير الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، الجزائر، 2009 – 2010، ص 78.
- 64- ينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 2006، ص 155.
- 65- المصدر نفسه، ص 156.
- 66- المصدر نفسه، ص 160.
- 67- المصدر نفسه، ص 160.
- 68- المصدر نفسه، ص 132.
- 69- المصدر نفسه، ص 155.
- 70- المصدر نفسه، ص 161.
- 71- المصدر نفسه، ص 214-215.
- 72- المصدر نفسه، ص 158.
- 73- صابر الحباشة، الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، ص 40-41.
- 74- عاصم البطليوسي، شرح الأشعار الستة الجاهلية، تح: ناصيف سليمان عواد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ط 1، 2008، ج 1، ص 337-338.
- 75- النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 57.
- 76- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، تح: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط 2، 2006، ص 449.
- 77- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 8، (د ت)، ص 297.
- 78- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، تح: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط 2، 2006، ص 449.
- 79- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2007، ص 242.
- 80- صابر الحباشة، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص، دار صفحات، دمشق، ط 1، 2008، ص 50.
- 81- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 10.
- 82- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 183.
- 83- ينظر: المصدر نفسه، ص 185.
- 84- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 123-124.
- 85- علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص 51.
- 86- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 267.
- 87- ينظر: علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص 43.
- 88- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، تح: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط 2، 2006، ص 449.